جامعة زيان عاشور – الجلفة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

المستوى: جذع مشترك أولى علوم إنسانية

المقياس: تاريخ الحضارات القديمة

إعداد: د/ أحمد ثليجي

الموضوع:

الحضارة الرومانية

تمهيد:

يحتل التاريخ الروماني مكانة خاصة في تاريخ العالم، ولا أدل على ذلك من تلك الآثار الشامخة التي خلفها الرومان في كل مكان، حيث انتصروا وامتد نفوذهم من بريطانيا غربا حتى الفرات شرقا، ومن شواطئ بحر البلطيق شمالا حتى الصحراء الكبرى جنوبا.

ولقد عاش الرومان منذ نشأتهم في مدينة روما التي تقع على ضفة نهر "التيبر" في وسط إيطاليا، ثم توسعت فيما بعد ممتلكات الرومان بفعل قوتهم العسكرية الهائلة حتى تمكنت من السيطرة على معظم مناطق العالم القديم.

كما درس العلماء والمؤرخون الحضارة الرومانية دراسة وافية، وكتبوا عنها أكثر مما كتبوا عن الحضارة اليونانية، وذلك لأن فضلها واضح على المدنيات الأوربية، ولأن لغتها يتحدث بها أكثر من نصف سكان القارة الأوربية، ولقد تميزت بعمارتها الضخمة، ونصوصها وأنظمتها القانونية، بل أن هناك أسطورة تقول "أن روما هي دولة العالم وجالبة السلام العالمي". وقد ساعد كل هذا على طمس الحقيقة وهي أنه حتى الوقت الذي أصبحت فيه روما قوة عالمية كان الرومان أنفسهم من البرابرة غير المتمدنين.

ومن الناحية الحضارية كانت إيطاليا متأخرة عن البلاد الإيجية خلال معظم أيام تاريخها، وليس ذلك إلا مجرد انعكاس للحقيقة المعروفة، وهي أنه لابد لأي نظام حضاري من وقت كاف حتى يصل إلى نقطة الأصل بمعنى الأخذ بسيمات الحضارة الأصلية ومحاولة تطويرها وفق متطلبات المجتمع الروماني.

1 أصل التسمية وبداية التأسيس:

سمي الرومان بهذا الاسم نسبة إلى عاصمتهم "روما" وقد سميت هذه الأخيرة بـ "المدينة الأزلية" وذلك لأهميتها التاريخية وتاريخها الطويل، فقد ظلت هذه المدينة لمئات السنين مركز القوة في أوربا وشمالي إفريقيا وغربي آسيا.

وقد نشأت هذه المدينة –كما تقول الأسطورة الرومانية– عندما قام أخوان توأمان هما "رومولوس وريموس" بتأسيس مستوطنة سنة (753ق.م) على ضفاف نهر التيبر، ويعتقد معظم المؤرخين أن من سكنوا تلك البقعة كونوا شعبا عرف باسم "اللاتين".

واستطاعت هذه المدينة الصغيرة أن تتلمس طريقها إلى العظمة اللاحقة، وأن تبني بصبر وأناة –ولكن في منتهى العزم والتصميم– كيانا سياسيا قويا تمكن ليس فقط من طرد الإتروسكيين، وإنما عمد إلى مطاردتهم والقضاء على دولهم ومدنهم الواحدة بعد الأخرى، ثم تمكنت زعيمة اللاتيوم من خلال صراع طويل مع الشعوب الإيطالية الأخرى، ومع المستعمرات الإغريقية القائمة في الجنوب أن تخضع هذه الشعوب المتناثرة لسيطرتها وتحقق للمرة الأولى في التاريخ وحدة شبه الجزيرة الإيطالية.

2 مراحل الحكم الروماني:

ينقسم الحكم الروماني إلى ثلاث مراحل:

أ – مرحلة النظام الملكي.

ب –مرحلة النظام الجمهوري.

ت –مرحلة النظام الإمبراطوري.

مرحلة النظام الملكي(753–509 ق.م): امتدت مرحلة النظام الملكي حوالي قرن ونصف أي منذ تأسيس مدينة روما في سنة 753 ق.م إلى حوالي سنة 509 ق.م. وهذه السنة هي التي عقدت فيها روما أولى معاهداتها في البحر الأبيض المتوسط وبداية التطلع إلى التوسع خارج حدودها.

ويعتقد أنه توالى في هذه الفترة على عرش روما ستة ملوك، وكان الملك هو مصدر القانون وهو الذي ينظم العلاقات بين الناس في الدولة، وقد كان المواطنون يلتقون في مجالس للتصويت على قرارات الملك ومجلس الشيوخ، ولكن لم يكن لهذه المجالس أي اختصاص تشريعي.

ولقد تمثل الحكم في تلك الفترة في ثلاثة عناصر أساسية وهي: الملك ومجلس الشيوخ والجمعيات الشعبية أو مجلس الجماعات. ومع وجود هذه المجالس إلا أن السلطة المطلقة كانت في يد الملك.

مرحلة النظام الجمهوري (509–27 ق.م): وقد امتدت حوالي خمسة قرون، وقد مدت في هذه المرحلة روما سيطرتها على الكثير من مناطق العالم، وكان لجيشها القوي آنذاك الفضل في هذا التوسع ومد النفوذ، واكتسبت عن طريق الحروب الكثير من الخبرات والتجارب السياسية والإدارية وذلك من خلال احتكاكها بالشعوب التي كانت تسبقها في مضمار الحضارة. وقد اتسم النظام الجمهوري بالكثير من ملامح وصفات النظام الملكي السابق.

وعلى الرغم من أن دستور "الجمهورية الرومانية" يستند نظريا إلى التوازن بين ثلاث سلطات سياسية تراقب بعضها البعض ونعني بها:

- السلطة التنفيذية: وتتمثل بمناصب الحكام (Magistratus) "الظاهر الملكي"
- السلطة التشريعية: متمثلة بمختلف المجالس التشريعية (Comitia) "الظاهر الديمقراطي".
- سلطة المراقبة والاستشارة: وتتمثل بمجلس الشيوخ (Senatus) الذي كان يصور بوقار أعضائه "الظاهر الأرستقراطي".

غير أنه في هذه الفترة أصبح مجلس الشيوخ من أقوى الهيئات الحكومية سلطة في الجمهورية الرومانية، بحيث يوجه السياسة الخارجية ويصدر المراسيم، ويعالج الأمور المالية الحكومية.

وفي أواخر العهد الجمهوري في سنة (64 ق.م) فتح القائد الروماني "بومبي" شرقي تركيا وسوريا وفلسطين، وحينما عاد إلى روما رفض مجلس الشيوخ الاعتراف بانتصاراته، ونتيجة لذلك شكّل سنة (60 ق.م) حكومة ثلاثية، ومنذ ذلك الحين حتى قيام الإمبراطورية سنة (27 ق.م) توالت على الحكم في روما حكومتان ثلاثيتان هما:

1 - الحكومة الثلاثية الأولى المكونة من: بومبايوس (بومبي)، و"يوليوس قيصر"، وماركوس كراسوس.

2 - الحكومة الثلاثية الثانية سنة 43 ق.م والمكونة من أنطونيوس(مارك أنطوني)، وأغسطس(أوكتافيوس)، ولبيدوس (ماركوس لبيدوس)، وبقيت حتى سنة13 ق.م.

مرحلة النظام الإمبراطوري(27 ق.م– 476 م):

يهدف النظام الإمبراطوري الجديد إلى تمركز السلطات بيد السلطة التنفيذية وعلى رأسها الإمبراطور الحاكم المطلق، وقائد الجيش الأعلى، ولم يبق لمجلس الشيوخ إلا ظاهر السلطة.

وتمتد مرحلة النظام الإمبراطوري منذ سقوط الحكم الجمهوري في روما سنة 27 ق.م بعد سنوات عديدة من الحروب الأهلية إلى سقوط روما سنة 476 م، وكان أول إمبراطور هو "أوكتافيوس" الذي اتخذ اسم "أغسطس" في كثير من الأحيان.

لقد كان أوكتافيوس يدرك الحاجة الماسة إلى إصلاح أمور الدولة، ولكنه رأى بثاقب نظره وجوب التمهيد لإصلاحاته بإعادة الطمأنينة إلى النفوس، وتنمية الشعور بالاستقرار بعد ويلات الحرب الأهلية.

وقد تميز العهد الإمبراطوري عموما بمجموعة من المميزات منها:

- إمساك الأباطرة بزمام السلطة والإبقاء على المؤسسات الحكومية القديمة للعصر الجمهوري دون أن يكون لها تأثير في نظام الحكم.
- كان الأباطرة يعينون القناصل ويعينون أعضاء جدد لمجلس الشيوخ، ولم يكن للمجالس الشعبية سوى سلطة ضئيلة.
- كان الأباطرة يقودون الجيش ويتحكمون في صياغة القانون ويعتمدون على مستشاريهم أكثر من اعتمادهم على أعضاء مجلس الشيوخ.
- أصبحت التجارة العامل الرئيسي في الحياة الاقتصادية وخاصة في العصر الإمبراطوري الأول بحيث تعددت الفرص العظيمة أمام هذا النشاط لسكان الإمبراطورية لتوحيد العالم المتمدن آنذاك وتحوله عمليا إلى دولة عالمية واحدة، وسيادة السلم والأمن في الداخل والخارج.
- في الفترة الثانية من عهد الإمبراطورية بدأت الديانة المسيحية بالانتشار في الأرجاء الشرقية للإمبراطورية، إلا أن الديانة الرسمية للإمبراطورية كانت وثنية تعود في أصولها إلى الديانة الإغريقية.

3 عوامل التوسع الروماني:

تعتبر مرحلة العهد الجمهوري أكثر المراحل التي عرفت فيها روما توسعا كبيرا، وتعود أسباب ذلك التوسع إلى:

- سياسة مجلس الشيوخ التي تهدف إلى التوسع.
- تسابق القناصل إلى إحراز النصر والتغلب على الشعوب الأخرى، لتحقيق مآربهم الشخصية من جهة، ثم محاولة إرضاء الإمبراطور بتوسيع نفوذ الإمبراطورية الرومانية من جهة أخرى.
- البحث عن الموارد الاقتصادية وفك الخناق على روما التي أصبحت تعاني الكثير من المشاكل كالاكتظاظ بالسكان، والبطالة، والفقر... وغيرها.
- الحماس العسكري للشعب الروماني، وخاصة في المراحل الأولى للإمبراطورية الرومانية بحيث أن عامة الشعب كانوا يسارعون للانضمام إلى الجيش الذي كان يحقق الكثير من الانتصارات.

- وقد ساعد انتشار الأفكار الإغريقية (اليونانية) على تمتين وحدة أجزاء الإمبراطورية بعد مد نفوذها إلى مناطق عديدة في أوربا وخارجها، فالشعب الوحيد الذي كان له عليهم تأثير ذهني عظيم قبل القرن الثاني أو الثالث الميلادي هو أبناء قرابتهم الإغريق الذين يشبهونهم، لذلك كانت الإمبراطورية الرومانية في جوهرها محاولة أولى لحكم دولة عظيمة مترامية على أسس آرية بحتة تقريبا.
- كما ساعد في وقت متأخر انتشار المسيحية على وحدة روما، رغم بعض الفوارق الدينية التي نشأت على الصعيد اللاهوتي، والتي أدت إلى قيام عدة بطريركيات متناحرة في كل من الإسكندرية وأنطاكيا والقسطنطينية.

4 ~~ا~~<u>الجيش الروماني ودوره</u>:

لقد كانت الحاجة في روما تدعو إلى وجود جيش دائم وقوي يستطيع الدفاع عن نظام الحكم وعن حدود الإمبراطورية المترامية الأطراف، ولذلك أولى حكام روما هذا الأمر عظيم عنايتهم ورعايتهم.

ولم يكن للجانب العسكري أثر ثانوي في تاريخ روما، بل شكَلت الحروب موقعاً مركزياً في تاريخها وتاريخ جميع دول العالم القديم، فموقع روما في وسط جغرافي مليء بالشعوب والقبائل القوية دفع بها إلى استخدام القوة للذود عن كيانها ووجودها، وعلى فترة امتدت لأجيال سفكت روما خلالها الكثير من الدماء وأبدت شجاعةً وتصميماً في مواجه خصومها في إيطاليا وخارجها.

كما ظهرت لديها بوادر التخطيط للمحافظة على مصالحها، ووجب عليها زيادة قوتها بقدر ما كانت توسع نفوذها، وهذا دفعها إلى تشكيل جيش مهمته تأمين الحماية للسلطة ، ومواجهة الأخطار التي يمكن أن تواجهها نتيجة توسعها، وفي البداية أي في العهد الملكي فإن الجيش الروماني كان مكونا من المزارعين الذين كانوا يجندون في الصيف وهي الفترة التي لا يعملون فيها في مجال الزراعة فيستغلون في الدفاع عن روما، أما في ظل الجمهورية فإن الجيش كان يتكون فقط من المواطنين الذين يملكون الأراضي اعتقادا منهم بأن أصحاب الممتلكات الذين لهم نصيب أكبر في الجمهورية هم الذين سيدافعون عنها بشكل أفضل من الذين لا أرض لهم.

وعندما بدأت روما بشن الحروب، فيما وراء البحار احتاجت إلى عدد أكبر من الجنود، وكان على هؤلاء الجنود الخدمة في الجيش لفترات أطول، ولكن في سنة (107ق.م) ألغت الحكومة الرومانية شرط الملكية، وفتحت الجيش للمتطوعين، ولذلك أتاح الجيش لعدد كبير من الرومان مهنة طويلة الأمد.

وكمثال عن الحروب ودور الجيش الروماني نذكر (الحروب البونية الثلاث 264–146 ق.م) ضد قرطاجة، والتي عبرت عن طموحات الرومان في التوسع ، وكذلك عبرت عن رفض الرومان بقبول منافس يؤثر على مصالحها، وإن الحروب الطويلة مع قرطاجة ، والتي انتهت بالقضاء على الدولة الفينيقية وتدمير قرطاجة سنة 146ق.م، وتأسيس مقاطعة إفريقيا الرومانية ، أكسب روما خبرة عسكرية كبيرة أنتجت جيشاً لا يقهر، وحررت مخاوف وطاقات روما التوسعية.

5 القانون الروماني:

يقصد بالقانون الروماني ذلك القانون الذي نشأ وطبق في المجتمع الروماني منذ نشأة روما في القرن السابع قبل الميلاد حتى تقنينه في مجموعات الإمبراطور جستنيان في القرن الساد س الميلادي. واعتبار صدور مجموعات جستنيان نهاية لتاريخ القانون الروماني لا يرجع إلى أنه لم يعد قانونا منذ ذلك التاريخ فهو ظل مطبقا في أوروبا حتى صدور التقني نات الحديثة خلال القرن التاسع عشر ، بل يرجع إلى أن مجموعات جستنيان كانت خاتمة المطاف في تطور القانون الروماني، فبصدورها استقرت القواعد القانونية الرومانية واتخذت شكلها الذي نعرفها به الآن واتخذها العلماء اللاحقون أساسا لدراستهم القانونية ، دون تعديل في جوهرها.

وقد نشر الرومان أولى مدوناتهم القانونية المعروفة نحو سنة 450 ق.م. وسجلت هذه المدونة، التي أطلق عليها اسم القوائم الإثني عشرة للقوانين، الأعراف السائدة بشكل مكتوب. وظل القانون الروماني مرنًا واعتمد على تفسيرات لمحامين وقضاة مهرة.

وتطورت، بمرور السنين، مجموعة شاملة من القواعد التشريعية، طُبِّقت على مختلف الشعوب التي تعيش في ظل الحكم الروماني. وأطلق المحامون الرومان على هذه المجموعة من القواعد التشريعية اسم " قانون الأمم"، وقد ارتكز قانون الأمم هذا على الأفكار البديهية للعدالة، مع مراعاة التقاليد والأعراف المحلية.